وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

مَنهجُ الإصلاحِ القرآني

قراءةٌ في موقفِ الأُمَّةِ معَ العترةِ الطاهرةِ

غفران علي حرب

سوريا – دمشق

الملخص:

إقامة المجتمع الصالح اللائق بمعرفة الله و توحيده على الأرض غاية عظيمة يسعى إليها الإسلام بمنهجه الإلهي القويم في كتابه العزيز، و من أجله سنّت فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و تتابع إرسال الأنبياء و الأوصياء المصطفين للنهوض بأعباء هذه المهمة.

يعالج هذا الموضوع: الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام في ضوء المنهج القرآني في مقدمة أبرز فيها أهمية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في القرآن الكريم، وهو المصدر الذي استمد الإمام من آياته أسباب نهوضه و شعاره الإصلاحي: وإنّي لم أخرج أشرًا و لابطرًا و لا مفسدًا و لا ظالمًا و إنّما خرجتُ أطلبُ الإصلاح في أمّة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر وست نقاط ألخصها بحسب الآتي:

١. مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في القرآن الكريم وارتباطه بالمعصومين عليهم السلام.

٢. امتحان الأمّة بالولاء للعترة الطاهرة والاستراتيجيات التي اتبعها الإمام علي وابنه الإمام الحسن عليهما السلام للقيام بإصلاح المجتمع والحفاظ على الدين.

٣. مخالفة معاوية لأحكام القرآن و سنة الرسول، والخطر الذي شكله على المجتمع بإشاعته للظلم و الفساد.

٤. الأسباب التي دعت الإمام الحسين إلى ردّ الدعوات المتعالية من أمصار الدولة الإسلامية للمواجهة العسكرية مع معاوية، و المستندة إلى نصوص القرآن و السنة النبوية.

٥. رفض الإمام الحسين عليه السلام لبيعة يزيد، و اتخاذ قرار المواجهة العسكرية وسيلة لإصلاح الأمة لتوفر شروط المواجهة التي دعا إليها القرآن الكريم.

٦. النتائج الإصلاحية للثورة الحسينية و أثرها على المجتمع الإسلامي، وديمومتها إلى قيام قائم آل محمد عجل الله فرجه الشريف.

الكلمات المفتاحيَّة: مَنهجُ الإصلاحِ القرآني، موقفِ الأُمَّةِ معَ العترةِ الطاهرةِ.

Summary:

Establishing a good society goes with Almighty Allah's presence, and making him consolidated on earth (alone with no partner) is a great goal sought by Islam in its divine rules of the Holy Quran, so for that, the Sunnah of promoting virtues and preventing vices had been ordered, and sending chosen prophets and messengers continued, for this mission.

I address this topic: "Social reform at Imam Hussein (peace be upon him) in the light of the Quranic content, within an introduction that highlighted the importance of promoting virtues and forbidding vices in the Holy Quran, which is the resource that Imam Hussain derived from its verses, the reasons of his reformist renaissance, which was clear, in his words, " I didn't come here to seek bad things, I came to represent the justice of Allah, to reform the Society of my grandfather's nation (prophet Mohammad), to promote good, and forbid evil, for that I came, and for that, I'm going to be killed."

Six points are summarized as follows:

- The levels of promoting good and forbidding evil in the Holy Quran and its association with the AhluAlbayet (PBUT)
- Testing the nation's loyalty to AhluAlbayet, and strategies used by Imam Ali & his son Imam Hassan (PBUT) in reforming society and preserving religion.
- (Moaaouya's violation) of the Quranic rules, Messenger's Sunnah, and the danger he represented to society by spreading injustice and corruption.

- The reason made that Imam Hussain did his reformist renaissance; was a reply to the Islamic States' calls for a military confrontation with Moaauya, based on the Quranic texts and the prophet's Sunnah.

- (Imam Hussein's refusal) to follow Yazeed's rule, taking the military confrontation as a decision to reform the nation, as the conditions of the contest based on the Holy Quran are available.

- The reformist results of the Imam Hussain revolution, its impact on the Islamic community, and its perpetuation to the moment of Imam Al-Mahdi's appearance (may Allah hastes his appearance).

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله الطيبين الطاهرين.

أمَّا بعد: فكانت الأرض ومازالت موطئ قدم الإنسان في رحلة تكامله إلى عالم الأبدية، و لكن أنّى لنفسه التكامل وهو يواجه عدوًا خبيثًا وشيطانًا رجيمًا في دار البلية؟

لم يترك الرحمن النسل الآدمي يواجه عدوّه وحيدًا، فكان من نعمه أن اجتبى له معلمين ومربين من جنسه، لا يتصفون بالعيوب، و لا تقع منهم الذنوب، يبلِّغونه رسالات ربّه، ويقيمون عليه الحجة، آخذين بيد من يصدقهم و يؤمن ببلاغهم، فيحملونه على المنهج القويم، و الصراط المستقيم مُجسَّدًا له بأقوالهم وأفعالهم، أولئك هم الأنبياء و الأوصياء[1] صلوات الله عليهم.

ولما كان «الدِّين عِنْدَ اللّهِ الإِسْلام»[2]، والإنسان المسلم الصالح لبنة بناء المجتمع الإسلامي الصالح اللائق بمعرفة الله و توحيده على الأرض، سنَّت فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وهي باب واسع إلى طاعة الله تنتظم فيها حياة الفرد و الجماعة و يحصَّنون من الفساد.

و المعروف في اللغة ضد المنكر، و هو ما يستحسن من الأفعال، و كلُّ ما تعرفه

(١) تُنظر: سورة البينة ٩٨/ ١-٢.» لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتّى تاتيهمُ البيّنة رسولٌ من الله يتلو صحفًا مطهّرة «، في هذه السورة المباركة قدّم ذكر الرسول على الصحف المطهرة، ليؤكد على دور الرسول في بيان ما جاء في تلك الصحف قولًا وفعلًا، بحيث لا يتركُ لبسًا و لا غموضًا في معانيه وأحكامه. وينظر نهج البلاغة للشريف الرضي. تحقيق و تنسيق علي أنصاريان ج١/ ٩ وفيه قول الإمام علي عليه السلام: «و اصطفى سبحانه من ولده انبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرسالةِ أمانتهم لمّا بدّل أكثر خلقهِ عهد الله إليهم، فجهلوا حقّهُ، و اتخذوا الأنداد معه، و اجتالتهم الشياطين عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبياءَه.

(٢) آل عمران ٣/ ١٩.

النفس من الخير و تطمئنُّ إليه، و ذكروا أيضًا أنَّه اسم جامع لكلِّ ما عُرِفَ من طاعةِ الله و التَّقربِ إليه والإحسان إلى الناس، و كلّ ما ندب إليه الشرعُ من المحسِّنات ونهى عنه من المقبَّحات. وقالوا قي بعض الموارد: اسم لكلِّ فعلٍ يُعرف حسنه بالعقل أو الشرع، وهو خلاف المنكر[١].

وفي القرآن الكريم تكررت كلمة المعروف تسعًا و ثلاثين مرة في سياق الدعوة إلى قول ما يستحسن في طاعة الله جلَّ جلاله وعمله على وجه الإجمال مترافقة مع النهي عن المنكر، و على وجه التفضيل في سياق الموضوعات الآتية:

١. تنظيم مسألة القصاص و الدعوة إلى العفو.
٢. تنظيم الوصية و الإرث.
٣. تحديد الحقوق و الواجبات بين الرجل و مطلقته، و التشجيع على الإصلاح بينهما.
٤. تحديد حقوق المطلَّقة المرضع و واجباتها.
٥. الإحسان إلى الفقير بالقول الحسن بعيدًا عن المن و الأذى.
٦. حفظ مال اليتم إلى أن يكبر.
٧. الإصلاح بين الناس و إعطاء الصدقات[٢].

بينما تكررت كلمة المنكر ست عشرة مرة مسبوقة باسم أو فعل النهي، و معطوفة على كلمة المعروف تارة وذلك في سياق ذم بني إسرائيل الذين ابتعدوا عن إنكار المنكر، و النهي عن الإتيان به، وتارة أخرى في ذم المنافقين و المنافقات في عهد رسول الله، و فضح حرصهم على ارتكاب المحرمات و الاستهزاء بالإسلام.

إنّ تأمّل الموارد السابقة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وبقية الموضوعات الأخرى في القرآن الكريم يجعلنا نعتقد أنَّ القرآن كلَّه إنَّما هو دعوةٌ للأمرِ بالمعروفِ و

(١) لسان العرب / ابن منظور. و ينظر كذلك المعجم الوسيط، مادة (عرف).
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / فؤاد عبد الباقي .

النهي عن المنكر، فكلُّ موضوعاتِه تدخل تحتَ هذا الباب من الدعوة إلى الخير و طلب الإصلاح بين الناس و إن لم تُذكر فيهما المفردتان صراحة، ما يبين أهمية هذه الفريضة في بناء الفرد و المجتمع، لما لامسته من مواقع الخلل في معاملات الناس، و كذلك الخلل في البنية الروحية و الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع، فعالجتها و قوتها.

و من آيات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلى الخَيْرِ وَ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُوْنَ. وَ لَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَ اخْتَلَفُوْا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيْمٌ**﴾[1] ففي الآيتين السابقتين دعوة إلى إقامة هذه الفريضة مع بيان ما في إقامتها من الفلاح، والتحذير من تركها لما في ذلك من خطورة على المجتمع و العاقبة الوخيمة.

وكذلك جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله و العترة الطاهرة داعية و مبشرة و منذرة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «أنَّ رجلًا من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أخبرني ما أفضل الإسلام؟ قال: الإيمانُ بالله، قال ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ صلة الرّحم، قال: ثمَّ ماذا؟ قال: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، قال: فقال الرجل: فأيُّ الاعمال أبغض إلى الله؟ قال الشرك بالله، قال ثمَّ ماذا؟ قال: قطيعة الرّحم، قال: ثمَّ ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر و النَّهي عن و النهي عن المعروف»[2]، ونهى الإمام عليٌّ عليه السلام عن تركها قبل استشهاده قائلًا للحسنين: «لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيولَّى عليكم شراركم، ثمَّ تدعون فلا يُستجابُ لكم»[3] وفي نصٍّ مرويّ عن الإمام الحسين عليه السلام يبينّ فيه أهمية هذه الفريضة مستدلًا بقوله تعالى: ﴿**وَ المُؤْمِنُوْنَ وَ المُؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[4] قال: «فبدأ الله بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

(١) آل عمران ٣/ ١٠٤-١٠٥.
(٢) فروع الكافي ج٥ ص٣٥رقم ٩.
(٣) نهج البلاغة / علي أنصاريان ح٣ ص٤٢٩.
(٤) التوبة٩/ ٧١.

فريضةً منه، لعلمه بأنّها إذا أديت و أقيمت استقامت الفرائضُ كلُّها هيّنها و صعبها، و ذلك أنَّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردِّ المظالم و مخالفةِ الظالم و قسمة الفيء و الغنائم و أخذ الصدقاتِ من مواضعها و وضعها في حقِّها»[١].

مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وشروطه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي مر بالمعروف و انهَ عن المنكر بيدك، فإن لم تستطع بلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، و إلا فلا تلومنَّ إلا نفسك»[٢]

و عن الإمام علي عليه السلام «أيُّها المؤمنون إنّه من رأى عدوانًا يعملُ به، ومنكرًا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، و هو أفضل من صاحبه، و من أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى و قام على الطريق و نوّر في قلبه اليقين»[٣] إلى هذه الأحاديث الشريفة وغيرها، المتصلة بهذه الفريضة استند أهل العلم فقسموا الأمر بالمعروف إلى مراتب ثلاث أعلاها تغيير المنكر باليد، و أوسطها باللسان، و أدناها مرتبةُ القلب و إلا نال الإنسانَ غضبُ الله و شملَه عقابه.

وذهب الفقهاء إلى أنَّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجبان كفائيان في بعض مراتبهما[٤].

و في مراتبهما الأخر واجبان عينان كما في إظهار الكراهة فعلًا أو قولًا من ترك المعروف و فعل المنكر، و ذكروا في ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) تحف العقول عن آل الرسول / الحسن ابن شعبة الحراني ص١٧١.
(٢) ميزان الحكمة / محمد الريشهري ج٣ص١٩٥١.
(٣) نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٤٦.
(٤) ينظر كتاب المسائل المنتخبة - العبادات و المعاملات / السيد علي الحسيني السيستاني ص ٢٧٢، مسالة ٦٣١

وسلم أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة» [١]

أما شروط الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر للمكلف[٢]:

١. أن يكون المكلف ذا معرفة بما يأمر به من معروف أو ينهى عنه من منكرٍ على وجه التفصيل، أو على وجه الإجمال. ودرجة الوجوب تتناسب مع درجة العلم و الاطلاع، لذلك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجب مؤكَّد على الفقيه، يليه في ذلك المُتفقّه بالدين. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أواجب هو على الأمة جميعًا؟ فقال: «لا»، فقيل له:«و لمَ؟ «قال:» إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلًا إلى أي من أي يقول من الحق إلى الباطل، و الدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجل وقوله: ﴿**وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[٣] فهذا خاصّ غير عام. كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَ مِنْ قَوْمِ مُوْسَى أُمَّةٌ يَهْدُوْنَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُوْنَ**﴾[٤] و لم يقل: على أمة موسى و لا على كل قومه، و هم يومئذ أمم مختلفة»[٥].

٢. أن يمتلك الآمر مهارات الإقناع، و توصيل المعاني و الخبرة الكافية للتأثير في المتلقين و حملهم على الانتهاء عن المنكر و القيام بالمعروف.

٣. أن يقطع الآمر أو يحتمل تأثيره على الشخص أو المنهي عن المنكر. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنما يؤمرُ بمعروف و يُنهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم، و أما صاحب سوط أو سيف فلا»[٦]

(١) فروع الكافي ج٥ ص٣٥رقم١٠.
(٢) المسائل المنتخبة - العبادات و المعاملات للسيد علي الحسيني السيستاني،ص٢٧٢، مسالة ٦٣٢،و ينظر كذلك كتاب منتخب الأحكام / السيد علي الخامنئي ص ١٥٨.
(٣) آل عمران٣/ ١٠٤.
(٤) الأعراف ٧/ ١٥٩.
(٥) فروع الكافي ج٥ص٣٦رقم الحديث ١٦.
(٦) مستدرك الوسائل / الميرزا النوري ج١٢ص١٨٦.

٤. أن يأمن من الضرر على نفسه و على المأمورين أو المنهيين، و إلا يسقط عنه هذا التكليف.

دستور الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ارتباطه بالمعصوم:

شكلت الكتب السماوية السابقة مناهج عمل لهذه الفريضة، كذلك جاء القرآن الكريم منهجًا و دستورَ عمل يخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[1] ففي لفظة «تخرج» تؤكد الآية المباركة أن الهداية تحتاج إمامًا مرشدًا، هو رسول الله صلى الله عليه وآله و خاتم الأنبياء و أعلاهم رتبة، و هو وفق ما وصفَه القرآنُ «رَحْمَةً لَلْعَالَمِين»[2] و المجتمع الإسلامي الصالح الذي مهدت لإقامته الرسالات السابقة لا يخصُّ قومية دون سواها، بل يشمل الناس أجمعين، و لما كانت معركة الحق في مواجهة الباطل معركةً شرسةً و معقدة، تقتضي أن تقام على الناس الحجة و أن يمحصوا بالبلاء مرة بعد أخرى، ويخوضوا التجارب تلو التجارب، فقد اقتضت الحكمة الإلهية تهيئة نخبة من البشر يتوارثون قيادة المعركة تباعًا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، هؤلاء هم أهل بيته، و على تكليفهم دلت الآيات و الأحاديث الشريفة:

١. قال تعالى في سورة البقرة على لسان إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام: ﴿**رَبَّنا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبْ عَلَيْنَا إِنّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيْمُ* رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَ الحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الحَكِيْمُ**﴾[3].

فقوله تعالى ﴿**مَنْ ذُرِّيَتِنَا**﴾ تشير إلى أنّ دعوتهما عليهما السلام تخص جزءًا من الذرية؛ لانَّ الله أعلمهما أنَّه سيكون في الذرية طغاة ظالمين، وقال أهل العلم و المفسرون: إنّ

(١) إبراهيم ١٤/ ١

(٢) الأنبياء٢١/ ١٠٧:«وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحمَةً لِلعَالَمِن».

(٣) البقرة ٢/ ١٢٨-١٢٩.

(من) هنا تدل على التبعيض [١]، و تشير إلى من كان موحدًا على دين إبراهيم و إسماعيل، و هم عشيرة الرسول الأقربون، بنو هاشم و الضمير في قوله «فيهم «إنّما يعود على هذه العشيرة، ومنهم كان الرسول الخاتمﷺ، أمّا قوله تعالى: ﴿**وَ يُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَ الحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيْهِم**﴾ فأمر يختص بالمعصومين من عترته، و بأمر الله أمرَ الرسولُ المسلمين باتباعِهم بعدَ رحيلِه إلى الرفيقِ الأعلى قائلًا: «كأنِّي دُعِيتُ فأجبْتُ، و إنِّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله و عترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[٢] و في حديث آخر قال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق »[٣].

٢. سئل الإمام الصادقعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**وَ كَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهيدًا**﴾[٤] قال: نحن الأمّة الوسطى، و نحنُ شهداءُ الله على خلقه و حججه في أرضه، قلت (أي السائل): قول الله عزَّو جلَّ: «ملةُ أبيكم إبراهيم «، قال: إيانا عنى خاصةً «هو سماكم المسلمين من قبل «في الكتب التي مضت و في هذا القرآن «ليكون الرسول عليكم شهيدًا «فرسول اللهﷺ الشهيد علينا لمّا بلغنا عن الله عزّو جلّ، و نحنُ الشهداءُ على الناس، فمن صدَّق صدقناهُ يوم القيامة، و من كذّبَ كذبناهُ يوم القيامة»[٥].

٣. وجاء في سورة آل عمران قوله جلّ و علا: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله**﴾[٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن / الفضل بن الحسن الطبرسي ج١ ص ٣٩٣.
(٢) كمال الدين و تمام النعمة / الشيخ الصدوق ج١ ص٢٦٦، و ينظر كتاب المراجغات للسيدعبد الحسين شرف الدين الموسوي ص٢٤.
(٣) ميزان الحكمة / محمد الريشهري،ج٤ ص٢٨٢٠ رقم الحديث٣٦٠٤.
(٤) البقرة٢/ ١٤٣.
(٥) أصول الكافي ج١ ص٢٤٥ .
(٦) أل عمران ٣/ ١١٠.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسيرها: «يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأمّة التي بعث الله فيها و منها و إليها، و هم الأمّة الوسطى و خير أمّة أخرجت للناس»[١]. و إلى هذا المعنى لكلمة «أمّة» أشار أهل اللغة، فذكروا أنّ من معانيها جماعة من الناس، و من كان منهم جامعًا لصفات الخير يقتدى به[٢].

امتحان الأمة بالولاء للعترة الطاهرة و الاستراتيجيات التي اتبعها الإمام علي و ابنه الإمام الحسن عليهما السلام للقيام بإصلاح المجتمع و الحفاظ على الدين:

إنَّ صلاح أيِّ أمّـةٍ أو عدمه لا يظهرُ إلا عندما توضع تحت مجهر الاختبارات المتلاحقة، و لقد اختبرت الأمةُ بولائها لآل البيت بعد غياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، و على الرغم من حرصه الشديد في كلِّ مناسبة أو موقف على إيضاح معالم الطريق الذي يتعيّن عليها أن تسلكه بعد رحيله، و الكشف عن أعلامه الهادية فلا تضل و لا تتعثر إلّا أن الفتنة أبت إلا أن تطل برأسها من السقيفة منذ اللحظة الأولى لرحيله صلى الله عليه وآله عن هذا العالم، فكم من مرة سمع منه المسلمون:«يا علي أنت مني بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي»[٣]، وكم من مرة سمعوه يقول له:«أنت أخي و وزيري» و لا أدل على ذلك من يوم غدير خم حين خطب بالمسلمين مطولًا يوصيهم بضرورة التمسك بعترته الطاهرة»[٤].

الاستراتجية التي اتبعها علي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله:

سارع أمير المؤمنين (عليه السلام) انطلاقًا من مسؤوليته الشرعية إلى احتواء الفتنة و درء أخطارها عن الأمة، فقام بخطواتٍ عدة كان لها تأثير كبير في مسار الأحداث منها:

(١) البرهان في تفسير القرآن / هاشم الحسيني البحراني ١٨٨٥/ [٤].
(٢) لسان العرب / ابن منظور مادة امم.
(٣) بحار الانوار / العلامة المجلسي ج٣٧ص٢٧٣.
(٤) المراجعات / عبد الحسين شرف الدين ص٢١.

١. عقب اقتحام المنحرفين عن خط الرسالة المحمدية لداره إثر اجتماع السقيفة و إخراجه ملببًا بثيابه إلى المسجد من أجل البيعة، و مع ما يعرف عنه من إقدام و شجاعة لا نظير لهما، آثر أن يكون حليمًا صبورًا في مواجهة الموقف، فلم يرفع في وجوههم سيفًا، و لم يلوّح بقوة، وذلك لقلة أنصاره، و دفعًا لتصدع المجتمع الإسلامي و انهياره.

٢. على الرغم من إقصائه عن إدارة الدولة الإسلامية استمر بالقيام بتكليفه الشرعي فأرشد الناس إلى أمور دينهم وبيّن لهم أحكامه و قواعده، وعمل على فك نزاعات الناس و القضاء بينهم، حتى أنّه لم يبخل بالنصيحة على من غصبوا حقه، و قال في ذلك: «و الله لا أدخلُ المسجد إلا لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله أو لقضية أقضيها، فإنّه لا يجوز لحجةٍ أقامه رسول الله صلى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة»[1].

٣. كان الإمام (عليه السلام) يدرك عدم نضوج وعي الناس لمسألة الولاية إذ كان بعضم ينظر إليها- والناس قريبو عهد بالجاهلية- على أنَّها مجرد زعامة سياسية آثر رسول الله ابن عمه و قبيلته بها بعد وفاته، لذلك شككوا في أهداف الإمام، و رأوا في رفضه للبيعة بداية الأمر طموحا بالاستئثار بالسلطة. وتدخل منافقو مكة الطلقاء ليعززوا هذا التفكير في أذهان الناس وهو تفكير بعيدٌ كلّ البعد عن قواعد الإسلام الحنيف، و لكنّ عذر الطلقاء أنهم لا يفقهون من الدين إلا رسمه و كانوا يتحينون الفرص لتحقيق أطماعهم و مآربهم الشخصية، ولم يكن في مصلحتهم أن يتسلم الإمام علي عليه السلام زمام الأمور في الدولة الإسلامية الناشئة؛ لمعرفتهم باستقامته على الحق، لذلك عالج الإمام هذا الوضع باللجوء إلى المعارضة السلمية للأوضاع الجديدة القائمة، والتعبئة الفكريّة للأمة، فعمل على إيضاح الانحراف الحاصل في خط الرسالة عقب وفاة الرسول، لذلك أذن للسيدة الزهراء عليها السلام أن تخطب في الناس حول مسألة فدك و ضرورة استرجاعها، مبينة لهم جانبًا مهمًا من حقوق آل البيت التي تمّ الاعتداء عليها. ولم تكن فدك تعني الإمام إلا

(١) الإمامة وقيادة المجتمع / السيد كاظم الحائري ص١٨٧ نقلا عن بحار الانوار.

من باب الحرص على تدعيم جانب الحق، و الإفادة من مردوداتها المادية لتقوية جانب المعارضة [١]، وهو القائل في هذه المسألة: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين و نِعمَ الحكم الله، و ما أصنع بفدك و غير فدك و النفس مظانُّها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، و تغيّبُ أخبارها؟!»[٢].

و كان الإمام يزور مع عائلته السيدة الزهراء و الحسن والحسين عليهم السلام بيوت الأنصار و المهاجرين يوضح لهم ما جرى، و يذكِّرهم بمنزلة آل البيت عند رسول الله، و الحق الذي اغتصب منهم، و يطلب منهم نصرة دين الله ومناهضة الظلم [٣].

جاهد الإمام في تلك الأوقات المصيرية من حياة الأمة وبذل قصارى جهده ليخلق لدى المسلمين وعيًا جديدًا لمسألة الولاية فيجعلها تنضج في أذهانهم، و يرفع من منسوب تحملهم للمسؤولية في الحفاظ على قواعد الدين و ويدفعهم إلى نصرة الحق و مجابهة الظالمين على قاعدة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الدعوة إلى الخير.

ومع مرور الوقت بدأ يتجلى لجمهور المسلمين قصور المنحرفين عن قيادة الدولة على وفق التشريعات و السنن الإسلامية، فانتهجوا منهجًا آخر مليئًا بالأخطاء، و واجهتهم معضلات في حلّ قضايا المسلمين فلم يجدوا بُدًّا من اللجوء فيها إلى علي عليه السلام.

٤. قُتِلَ عثمان، فألحّ جمهور المسلمين على الإمام (سلام الله عليه) بقبول الخلافة، لكنه لم يرضخ لإلحاحهم إلا حين وافقوا على شروطه، وكان قد خاطبهم مبيناً لهم منهجه المبني على تشريعات الإسلام و أحكامه و الذي لن يقبل من أحد المساومة حول تطبيقه، قائلًا: «دعوني و التمسوا غيري.. و اعلموا أني إن أجبتكم ركبتُ بكم

(١) الإمامة وقيادة المجتمع / السيد كاظم الحائري ص١٨٧ نقلا عن بحار الانوار.
(٢) نهج البلاغة ج٣ص٤٢٢.
(٣) الإمامة و قيادة المجتمع ص١٨٢.

ما أعلم، و لم أصغِ إلى قول قائلٍ و عتبِ عاتبٍ. و إن تركتموني فأنا كأحدكم، و لعلي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيرًا خيرٌ لكم مني أميرًا»[١].

وهكذا أسس عليٌّ عليه السلام لبداية عهد جديد، و تمسك بمبادئه رافضًا المساومات، ليكون قدوة في سلوكه و قيادته، فيترك للمسلمين بل لأمة محمد الحاضرة و المستقبلية خير أنموذج لقيادة الدولة الإسلامية.

واستنادًا إلى هذا النهج الذي حمل عليه الناس كان لا بد له من المواجهة العسكرية مع معاوية المنشق عنه و المستأثر لنفسه بولاية الشام، و مع الخوارج الذين سببوا له إحراجًا كبيرًا حين ألحوا عليه بقبول التحكيم بعد حيلة رفع المصاحف التي لجأ إليها معاوية بمشورة عمرو بن العاص، ثم طالبوه بنكث العهد و إبراء الذمة من التمسك بنتائج التحكيم، و نكث العهود و المواثيق فعل من لا يدين بالإسلام، قال تعالى: ﴿**إِلَّا الذِيْنَ عَاهَدْتُم مِنَ المُشْرِكِيْنَ ثمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَ لَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَقِين**﴾[٢].

الاستراتجية التي اتبعها الإمام الحسن عليه السلام:

سار الإمام الحسن عليه السلام على نهج أبيه أمير المؤمنين، فتمسك بالقرآن دستورًا، وأكمل ما بدأه علي عليه السلام في تربية المسلمين و تلقينهم الدروس و العبر، حين مالت قلوب القادة في جيشه إلى الدنيا، و أغراهم المال الحرام الذي كان يبذله معاوية من بيت مال المسلمين ليشتري به الأعوان و الأنصار؛ فيحقق مآربه في الاستيلاء على خلافتهم.

لقد انتهج الإمام الحسن نهج الحرب الباردة مع معاوية [على حد تعبير السيد الحائري][٣] لسببين:

(١) نهج البلاغة / علي انصاريان، ج١ ص١٣٦.
(٢) التوبة ٩/ ٤.
(٣) الإمامة و قيادة المجتمع ص١٩٩.

الأوّل: كشف زيف بني أميّة و تعريتهم أمام جمهور المسلمين، فلا يشك بعدئذ بحق الأئمة عليهم السلام في الدفاع عن الرسالة وتولي شؤون الخلافة. ذكر صاحب الاحتجاج في أحد أخباره ما يشي بهذا المعنى فقال: «لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، و الله لَلذي عملتُ لشيعتي خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنّي إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، و أحد سيّدي شباب أهل الجنة بنصٍّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ؟ قالوا: بلى. قالَ أما علمتم أنَّ الخضر لمّا خرق السفينة، و أقام الجدار و قتل الغلام كان ذلك سخطًا لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، و كان عند الله ذكره حكمة و صوابًا؟»[1]

و الثاني: عدم توافر القوة و المقدرة التي تكفي لإنجاح مهمته، و الإمام نفسه قد أفصح عن هذا المعنى في موارد عديدة، منها ما جاء عن زيد بن وهب الجهني، قال: «لما طُعن الحسن بن علي عليهما السلام بالمدائن أتيته وهو متوجع، فقلت: ما ترى يا بن رسول الله فإنَّ الناس متحيّرون؟ فقال: أرى والله معاوية خيرٌ لي من هؤلاء، يزعمون أنّهم لي شيعة ابتغوا قتلي و انتهبوا ثقلي و أخذوا مالي، و الله لأن آخذ من معاوية عهدًا أحقن به دمي وآمن به في أهلي، خيرٌ من أن يقتلوني فيضيع أهلُ بيتي و أهلي، و الله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلمًا. فو الله لئن أسالمه و أنا عزيز خيرٌ من أن يقتلني و أنا أسير، أو يمّن علي فيكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر و لمعاوية لا يزال يمنّ بها و عقبه على الحيّ و الميّت [2] و إنّ من يقف على أخبار الإمام الحسن عليه السلام و المناقشات و الجدل الذي جرى بينه و بين معاوية و أصحابه، يكتشف أنَّ ما سُمِّيت حربًا باردة كانت أشدّ على معاوية من المواجهة المسلحة، فإضافةً إلى ما كان يرتكبه

(١) الاحتجاج / الشيخ أحمد بن علي الطبرسي ج٢ص٦٨.
(٢) المصدر السابق ج٢ص٦٩.

الأخير من أثام بحق المسلمين أخذت تتراكم كلما امتدت فترة حكمه؛ فلا تترك في القلوب إلا المقت و الكره و الشعور العميق المتزايد بالظلم، لم يترك الإمام فرصة للمواجهة معه إلا و استغلها ليفضح – بما امتلكه من بلاغة و علم و جرأة في الدفاع عن الحق– نفاق خصمه وجهله، وسوء تعاطيه مع السلطة، و كيده للإسلام و المسلمين، لا بل وتحويل الخلافة الإسلامية إلى مطية تلبي رغبته في الحكم و الانتقام من ولاة الأمر الحقيقيين، ففي احتجاج طويل ردّ فيه الإمام الحسنعليه السلام على جماعة أنكروا فضله و فضل أبيه في حضرة معاوية قال في بعض مقاطعه: «ثمَّ أنشدكم بالله هل تعلمون أنَّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي: هل علينا من عين؟ قال: لا، فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتيان بني أمية، فو الذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنّة و ما من نار»[1]، و في ذات الاحتجاج يقول لمعاوية.: «من لعنتك يا معاوية أنَّ أباك أبا سفيان كان يهمُّ بأن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروي في قريش و غيرهم، تنهاه عن الإسلام»[2]و يعدد الإمام في موضع آخر من هذا الاحتجاج مخازي معاوية فيقول: «و منها أنّ عمر بن الخطاب ولاك الشام فخنت به، و ولاك عثمان فتربصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله و رسوله أنَّك قاتلت عليًاعليه السلام و قد عرفته و عرفت سوابقه و فضله و علمه على أمرٍ هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله و عند الناس و لا دنية، بل أوطئت الناس عشوة، و أرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك و كيدك و تمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، و لا يخشى العقاب»[3].

لقد تجرع معاوية مرارة الخزي و العار أمام جمهوره و جمهور المسلمين مرة بعد مرة، فترك ذلك في نفسه رعبًا أقضَّ مضجعه، ودفعه إلى قتل الإمام و التخلص منه ما يؤكد

(١) الاحتجاج للطبرسي ج٢/ ٣١.
(٢) المصدر السابق ج٢ ص٣٢.
(٣) المصدر السابق ج٢ص٣٢.

صواب الخط الذي انتهجه الإمام و فعاليته في التمهيد لثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

مخالفة معاوية لأحكام القرآن و سنة الرسول، و الخطر الذي شكله على المجتمع بإشاعته للظلم و الفساد:

تلطى معاوية خلف عباءة الإسلام ليضفي الشرعية على تحكمه برقاب العباد، وفرغ الخلافة الإسلامية من كلِّ مضامينها الدينية و الإنسانية التي جاء بها القرآن، فاستحق نعته بالفاسق، قال تعالى ﴿**وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾[1]، ونكث العهود و المواثيق، وسفك دماء الناس بغير ذنب ارتكبوا، و في ذلك قال تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النّاسَ جَمِيعًا**﴾[2] و الشواهد على فسق معاوية و إجرامه تملأ كتب التاريخ إلى جوار تلك التي تمدحه، و تجعل له أيادٍ بيضاء على الإسلام!

جاء في الروايات أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية و هو عامل الأخير على المدينة يحذّره من الحسين عليه السلام، لأنَّ رجالًا من العراق و وجوه أهل الحجاز يختلفون إليه، فكتب معاوية إلى الحسين عليه السلام رسالة يقول فيها: «أمّا بعد فقد انتهت إليّ أمورٌ عنك إن كانت حقًا فإني أرغب بك عنها، و لعمر الله إنَّ من أعطى الله عهده و ميثاقه لجدير بالوفاء، و إنّ أحقّ الناسِ بالوفاء من كان مثلك في خطرك و شرفك و منزلتك التي أنزلك الله بها و نفسك فاذكر و بعهد الله أوف، فإنّك متى تنكرني أنكرك، و متى تكدني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة و أن يردَّهم الله على يديك في فتنة فقد عرفت الناس و بلوتهم، فانظر لنفسك و لدينك و لأمّة محمد صلى الله عليه وآله، و لا يستخفنَّك السفهاء و الذين لا يعلمون «نلاحظ في هذا الكتاب التناقض الكبير بين اعتراف معاوية بمنزلة الإمام الحسين وتشريفه من الله، وجرأته على اتهامه بشق عصا الأمة، و تهديده بالنيل منه، مذكرًا إياه بما يعدُّه معاوية نقطة ضعف عند الإمام ونقطة قوة له، و هو احتمال خذلان الناس له كما

(١) المائدة٥/ ٤٧.
(٢) المائدة٥/ ٣٢.

خذلوا أباه و أخاه إذ باعوا دينهم بدنياهم و استطاع معاوية أن يشتريهم بالأموال التي اغتصبها من بيت مال المسلمين. فما كان من الإمام إلا أن أرسل له كتابًا افتضحه فيه، و ردَّ كيده في نحره، جاء فيه:«أما بعد فقد بلغتي كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عني أمورٌ أنت لي عنها راغب و أنا بغيرها عندك جدير،، فإنّ الحسنات لا يهدي لها و لا يسدد إليها إلا الله تعالى، و أمّا ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنَّه إنَّما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، المُفرِّقون بين الجمع و كذب الغاوون، ما أردتُ حربًا و لا عليك خلافًا، و إنِّي لأخشى الله في ترك ذلك منك، و من الإعذار فيه إليك، و إلى أوليائك القاسطين المارقين الملحدين، حزب الظلمة و أولياء الشيطان: ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة و أصحابَهُ المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم و يستفظعون البدع، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و لا يخافون في الله لومة لائم، ثمَّ قتلتهم ظلمًا و عدوانًا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة، و المواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك و بينهم جرأة على الله و استخفافًا بعهده؟

أو لست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللهﷺ العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه و اصفرّ لونه، فقتلته بعدما أمَّنته و أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال، أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف فزعمت أنَّه ابن أبيك و قال رسول اللهﷺ الولد للفراش و للعاهر الحجر، فتركت سنة رسول اللهﷺ تعمدًا و تبعت هواك بغير هدىً من الله، ثمَّ سلطته على أهل الإسلام يقتلهم، و يقطّع أيديهم و أرجلهم و يسمل أعينهم و يصلبهم على جذوع النخل، كأنَّك لست من هذه الأمّة و ليسوا منك، أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنَّهم على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن اقتل كلَّ من كان على دين علي؟ فقتلهم و مثَّل بهم بأمرك؟ ودينُ علي هو دينُ ابن عمّهﷺ الذي كان يضربُ عليه أباك و يضربك، و به جلست مجلسك الذي أنت فيه، و لولا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء و رحلة الصيف، و قلت

فيما قلت انظر لنفسك و لدينك و لأمّة محمد و اتقِ شقّ عصا هذه الأمة و أن تردَّهم إلى فتنة، و إني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، و لا أعظم نظرًا لنفسي و لديني و لأمّة محمد صلى الله عليه وآله أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنَّه قربة إلى الله، و إن تركته، فإني أستغفر الله لديني، و أسأله الرشاد لأمري. و قلت فيما قلت إن أنكرتك تنكرني، و إن أكدك تكدني، فكدني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك، و أن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنّك قد ركبت جهلك و تحرَّصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط و لقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح و الأيمان و العهود و المواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا و قتلوا، و لم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، و تعظيمهم حقنا، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أنْ يفعلوا أو ماتوا قبل أنْ يدركوا، فأبشر يا معاوية بالقصاص، و استيقن بالحساب و اعلم أنَّ الله لا يغادر صغيرةً و لا كبيرةً إلى أحصاها، و ليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة، و قتلك أولياءه على التهم و نفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، و أخذك لبيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر و يلعب بالكلاب. ما أراك إلا قد خسرت نفسك و بترت دينك و غششت رعيتك، و أخربت أمانتك، و سمعت مقالة السفيه الجاهل، و أخفت الورع التقي و السلام»[1].

لقد تعمدت هاهنا إيراد نصي الكتابين كاملين، ليتأمل القارئ الكريم أسلوب المكر و الخديعة الذي درج عليه معاوية، و بلاغة رد الإمام مفندًا مزاعمه، و مواجهًا إياه بما ارتكب مع أعوانه من جرائم في حقِّ المسلمين، فأسقط عنه رداء الشرعية التي ادعاها، من غير أن يؤخذ بتهويله و تهديده أو يخضع لابتزازه بما يعلمه من خذلان الناس الذين اشتراهم معاوية بثمن بخس من بيت المال، فباعوا دينهم بدنياهم.

إنّ المتأمل في ردِّ الإمام يجد فيه بحق مصداق قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيْ اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّوْنَهُ أَذِلَةٍ عَلى المُؤْمِنينَ أَعزَّةٍ عَلى الكَافِرِيْنَ**

(١) في رحاب أئمة أهل البيت / السيد محسن الأمين ج٣-٥ص ٥٩.

يُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائم﴾[1].

و معاوية لم يكتفِ بكلِّ ما سبق حتى ارتكب أعظم خطاياه بحق الإسلام فعمل على أخذ البيعة لابنه يزيد الذي كان يجاهر بالفسق و الفجور.

و المدينة و مكة يومها مليئة بالصحابة و التابعين من أهل العلم و المعرفة بالحقوق و الواجبات و الفروض و الطاعات، و يمتلكون القدرة على تحريك الجماهير ليتخذوا موقفًا بينًا ينصرون فيه داعي الله و يسقطون أئمة الجور و العدوان إلا أنَّنا لا نسمع لهم صوتًا إلا ما ندر، و لا نرى لهم تأثيرًا يذكر في مجريات الأحداث، و لعلّهم كانوا منكفئين في بيوتهم ينتظرون ما تتمخض عنه من نتائج.

لقد كانوا بموقفهم السلبي هـذا و بحياديتهم المقيتة عونًا للظالمين على المظلومين، فأين هم من إقامة حدود الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؟ لماذا هجروا الفريضة و كل الشروط موفورة فيهم، لذلك خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه إلى كربلاء، لائمًا مقيمًا الحجة عليهم: ثم أنتم، أيتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر«يذكرهم الإمام في هذه الكلمات يتوجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لتوفّر شروطه فيهم، فلماذا هذا التقاعس و التهاون؟ و يضيف: «أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون؟! فاستخففتم بحق الأئمة، فأمّا حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم. فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه

(١) المائدة ٥/ ٥٤.

ويذكرهم بما يخشاه عليهم من سوء العاقبة و هو ما وقع بعد استشهاده سلام الله عليه حين استبيحت مكة و المدينة و ضربت الكعبة بالمنجنيق، و سفكت الدماء وهتكت الأعراض: «لقد خشيت عليكم، أيها المتمنون على الله، أن تحل بكم نقمة من نقماته؛ لأنّكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وأنتم بالله في عباده تكرمون! وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله محقورة! والعمي والبكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون! كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي، وأنتم عنه غافلون! وأنتم أعظم الناس مصيبة؛ لما غلبتم عليه من منازل العلماء، لو كنتم تشعرون! ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله»[1].

لقد كان الحسين سلام الله عليه متألمًا متأسفًا على خذلان الناصرين، و قلة المخلصين الذين أعاروا الله جماجمهم.

وهنا سؤالٌ يطرح نفسه: لماذا لم يستجب الإمام عليه السلام إلى دعوات أهل الأمصار للانقلاب على معاوية؟

ذهب كثيرون إلى أنَّ علة عدم استجابته ذلك الصلح المبرم بين معاوية و الإمام الحسن عليه السلام، و لكن الإمام نفسه في ردّه السابق على اتهامات معاوية يؤكد أن معاوية ناكث للعهد، وناكث العهد لا أمان له.

لقد أشرت في السطور الماضية إلى ما كان يحاوله من التستر تحت عباءة الإسلام طلبًا للشرعية، و ينقل لنا المسعودي في مروج الذهب ما كان يتظاهر به أمام الناس من أداء لبعض الفروض و الطاعات، يقول المسعودي:«كان إذا صلّى الفجر جلس للقاصّ حتى يفرغ من

(١) تحف العقول عن آل الرسول / الحسين بن شعبة الحرّاني ص٢٣٨.

قصصه، ثمَّ يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثمَّ يدخل منزله فيأمر و ينهى، ثمَّ يصلي أربع ركعاتٍ، ثمَّ يخرج إلى مجلسه..» [١] فمن كان ينبئ المسعودي و غيره من أصحاب التأريخ لولا وجود آلة إعلامية و أقلام مأجورة تكتب لمعاوية و تذيع بين الناس ما يشاء من أكاذيب و أراجيف باطلة؟ [٢].

فهل يعطي الإمام الفرصة لمعاوية و آلته الإعلامية لتزييف الحقائق، و توجيه الاتهامات الباطلة المضللة له بأنَّه ناكث للعهد و مخالف للنص القرآني و السنة النبوية؟

أضف إلى ذلك أن معاوية كان يعيش أيامه الأخيرة و الإمام بعهد من الله و رسوله يتوقع موته، و ينتظر بعده لحظة خطرة و مصيريَّة، ليقدم على تضحيته في سبيل إصلاح الأمة.

و مهما كانت الأجوبة التي يصلح أن تكون جوابًا على هذا السؤال، فإنَّ هناك حقيقة تفرض نفسها و هي ضرورة اختبار الأمة؟ كيف ذلك؟

قال تعالى: ﴿**وَ نَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ وَ الخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تَرْجِعُونَ**﴾ [٣].

فالآية الكريمة تشير إلى أنّ الاختبار سنة من سنن الله محلها الأرض، و المسلمون آمنوا برسالة الإسلام التي حملها رسول الله محمدﷺ، و خاضوا معه المعارك مجاهدين في سبيل الله لنشر الدين، و تثبيت الدعوة بعد أن صبروا على الجوع الاضطهاد و الأذى، فكان هذا اختبارهم الأول، فلما تم فتح مكة و اقترب رحيل الرسول الأكرم إلى جوار ربه فطلب إليه ربّ العزة، أن يلقي على المسلمين اختبارهم الثاني، ألا و هو اختبار الولاية لآل البيت بعد أن حدّثهم حوله مرارًا و تكرارًا، وأخذ البيعة منهم يوم الغدير، أي أنَّهم عاهدوه و واثقوه على ذلك، فلما رحل إلى ربه، نكثوا العهد إلا قليلًا مخلصين، فانبرى أمير المؤمنين لإصلاح الأمة

(١) مروج الذهب و معادن الجوهر/ علي بن الحسين المسعودي ج٣ص٣٩.
(٢) يُنظر كتاب: من وحي الثورة الحسينية / هاشم معروف الحسيني ص١٨.
(٣) الانبياء٢١/ ٣٥.

يأمر بالمعروف، و ينهى عن المنكر، و يدعوهم إلى الخير منكرًا ذاته في سبيل الله، مذكرًا المسلمين بفروضهم و واجباتهم، ناشرًا الوعي في صفوفهم، فلا يقعوا في براثن الشيطان الذي يتربص بهم، ليضلهم. و حين عهدوا إليه بالولاية عليهم، و وافقوا على شروطه، أسس دولة الإسلام تأسيسًا جديدًا يقتفي خُطى رسول الله، على خير منهج، بعد أن عرّفهم مواضع الحلال والحرام، و نشر القسط و العدل بينهم، وأخذ للمظلوم من الظالم، و أبان لعماله على الأمصار قواعد المعاملات مع الرعية. و هكذا تذوق الناس في عهده حلاوة العدل و الإنصاف، فأقام الحجة عليهم. حتى إذا استشهد كان في رحيله اختبار للأمة في تطبيق معارفهم الجديدة و المحافظة على قواعد الدولة التي صحح مسارها و أرسى قواعدها. لكن تراخي النفوس في تطبيق ما تعلمته و بريق المال الذي بذله معاوية لقواد جيش الحسن عليه السلام المعين إمامًا للأمة بعد رحيل أمير المؤمنين، و التهويل و التزييف الإعلامي الذي كان يمارسه معاوية بدهاء في الأمصار، كل ذلك شتت الناس من حول الحسن عليه السلام، فلم يعد بإمكانه المواجهة العسكرية، فكيف عالج الإمام هذه الحالة الناشئة؟ لجأ إلى الصلح مع خصم يعرف سلفًا أنَّه لا يلتزم بعهد، و لا يحترم ميثاق، يقول الباحث الأستاذ يحيى الدوخي في دراسته التحليلية لصلح الإمام الحسن «و لكن ما إن استقر الحكم لمعاوية، حتى رمى وثيقة الصلح تحت قدميه، و لم يف بالعمل بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وآله[1] و نقض الميثاق و استشهد بخطابه لأهل الكوفة: «يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصلاة و الزكاة و الحج، و قد علمتُ انَّكم تصلون و تزكون و تحجون؟ !و لكني قاتلتكم لأتأمَّر عليكم، و إلى رقابكم، و قد أتاني الله ذلك و أنتم كارهون، ألا إنَّ كل مال او دمٍ أصبتُ في هذه الفتنة مطلول، و كل شرط شرطته فتحت قدمي» [2]، و ما ذلك إلا ليكشف خداعه و مكره و زيف ادعائه للإسلام، وحقده الدفين على أهله، و انصرافه لإشباع رغباته و تحقيق أطماعه في السيطرة و التسلط هذا من جهة، و يعالج من جهة أخرى أمراض الأمة بما ستتعرض له من آلام نتيجة بطش السلطة وظلمها فيتعمق كرهها للظلم و

(١) صلح الإمام الحسن بين الواقع و ظلم التاريخ، يحيى عبد الحسن الدوخي ص٥٥.
(٢) المرجع السابق، و الصفحة نفسها.

نبذها لأهله، وتمسكها بالأنموذج المثالي للإسلام الذي تذوقت حلاوة عدله و عاشت في نعيم رحمته و رأفته حتى وجدت فيه ملاذًا و ملجأ من شرور الحياة الدنيا وشهواتها.

وهكذا فإن وجود الإمام الحسن الذي تابع سيرة والده علي مقابل معاوية وزبانيته ترك في وجدان الأمة إنموذجين للحياة الروحية و الاجتماعية، لا لبس في وضوحهما، أحدهما: مشرق ناصع غَشي الناس بمحبةٍ و رحمانيةٍ و انتشلهم من قاع العبودية والاستغلال و العَوذ، و الثاني شرسٌ مستغرق في جحيم شهواته يصلى الناس بنار ظلمه، و يدوس قيمهم الدينية و الإنسانية، بنعال وثنيته وجهله.

و امتحان الأمة بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام يكمن بانحيازها إلى الأنموذج المشرق، و الدفاع عنه، لكنّها بدت ضعيفة متراخية تخلى علماؤها و عقلاؤها عن الدعوة إلى المعروف و مواجهة الباطل مؤثرين الحياة تحت عباءة الظالمين، على الموت دفاعًا عن قيم الدين و مبادئه، إلا ثلة قليلة، ما أدى إلى تمادي الظالمين في نشر بدعهم و فسادهم في الأرض و هدد بضياع الإسلام العزيز إذ بدأت تتداعى أركانه، و يتهدم بنيانه.

رفض الإمام لبيعة يزيد و اتخاذ قرار المواجهة:

كانت الأمة تحتاج إلى حدث شديد الإيلام ينبهها، و يوقد حمية لا تنطفئ حرارتها في قلوب المؤمنين،و لا تخمد نيرانها في مواجهة الظالمين، على مدى السنين فذلك ما يحمي الدين، و يجعله أمواج الفتن المتعاقبة تتكسر عند حصنه المنيع.

وهذه كانت كلفة الإمام الحسين صلوات الله و سلامه عليه، حين أذن له الله بقيادة ثورته والأمة على شفا حفرة من النار منطلقًا مما بات فرض عين على ولي أمر المسلمين و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، الم يقل الله في كتابه العزيز: ﴿**وَ لِتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخيرِ وَ يَأمُرُونَ بالَمعْرُوفِ وْ يَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾[1]، ألم يحذر رسول الله من

(١) آل عمران ٣/ ١٠٤

ترك هذه الفريضة؟ بل[١] إنّ هذه الفريضة باتت فرض عين على كل المسلمين عليهم ممارستها و لو بأدنى درجاتها، وهي التبرؤ القلبي من الظالمين. يوم كان يزيد الفاسق يريد انتزاع البيعة لنفسه للتسلط على رقاب الخلق و هو المجاهر بفسقه و عصيانه لله. هنا في هذا اللحظة الحاسمة المؤثرة ارتفع صوت الإمام عاليًا على مسامع المسلمين و العالم: «مثلي لا يبايع مثله»، قال تعالى ﴿**أَ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوونَ**﴾[٢].

النتائج الإصلاحية للثورة الحسينية و أثرها على المجتمع الإسلامي:

لم يكن الإسلام الذي بلّغ رسالته خاتم الأنبياء، لقومٍ من دون قوم، و لا لبقعة جغرافية من دون أخرى، لقد انطلق من مكة، و من حضن بني هاشم، و لكنّه كان يستهدف المعمورة بأسرها، فرسول الإسلام بعث رحمة للعالمين، لذلك لم يعد مفهوم أمّة محمد صلى الله عليه وآله مفهومًا ضيق الدلالة بل غدا مفهومًا عالميًا، ينضوي تحته كل فرد يدين بالإسلام و يعمل بتعاليمه.

و لأنَّ الإسلام عالمي،كذلك تحول مفهوم الولاية من مفهوم يرتبط بفئة محدودة من الناس في عهد الرسالات السابقة إلى مفهوم عالمي ممتد على مساحة الكرة الأرضية بأسرها، لأجل ذلك كان للاستراتيجيات التي اتبعها الأئمة عليهم السلام نتائج مباشرة أحدثت تغيرًا في المجتمع الذي وصله الإسلام آنذاك، و نتائج بعيدة المدى تمتدُّ عبر الزمان و المكان، ملهمة لمن يريد أن يستلهمها من قادة الثورات في العالم، و المصلحين وصولًا إلى زمن الظهور المبارك، فالدولة الإسلامية التي أبان قواعدها و تشريعاتها الإمام

(١) يُنظر في وسائل الشيعة إلى تحرير مسائل الشريعة / الشيخ الحر العاملي ج١٦، الحديث ٢١١٤٤/ ١٨وقد جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « لا تزال امتي بخيرٍ ما امروا بمعروفٍ و نهوا عن منكرٍ و تعاونوا على البر و التقوى، فغن لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، و سُلِّط بعضهم على بعض، و لم يكن لهم ناصرٌ في الأرض و لا في السماء».

(٢) البقرة٢/ ٩٩.

علي عليه السلام في رسائله إلى عماله على الأمصار كعهده إلى مالك بن الأشتر عامله على مصر، و في وصاياه المتنوعة وخطبه زمن خلافته، ستكون القاعدة التي يرتكز عليها الحكم في دولة المنتظر العالمية القادمة، لأنها تستند إلى ما جاء في القرآن الكريم، و القرآن رغم تطور الحياة لا تتباين مفاهيمه من عصر إلى عصر، فأصولها واحدة، و إن تعددت مظاهرها.

وهكذا ثورة الحسين عليه السلام كان لها نتائجها وتداعيتها القريبة في عصره، و نتائجها البعيدة المدى المستمرة من جيل إلى جيل، وقد ساعد على استمرارها استثمار الأئمة الذين جاؤوا بعد الحسين عليه السلام لنتائجها،و توظيفها التوظيف الصحيح في تصحيح مسارات المسلمين و تعبئة صفوفهم جيلا بعد جيل لمواجهة الطغاة و الظالمين.

فكان من أهم نتائجها المباشرة أنَّها:

١. أسقطت شك فئة من أبناء الأمة الإسلامية في أهداف أهل البيت وهم في ميدان صراعهم مع بني أمية، إذ كانوا يعتقدون أنه مجرد صراع على كرسي الحكم، على الرغم مما صرح به الإمام في خطبه حول أهداف الصراع رافعًا شعار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فقال في إحداها: «**اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منا تنافسًا في سلطان و لا التماسًا من فضول الخصام، و لكن لنري المعالم من دينك و نظهر الإصلاح في بلادك، و يأمن المظلومون من عبادك، و يُعمَل بفرائضك و سننك و أحكامك، فإنَّكم إن لم تنصرونا و تنصفونا قوي الظلمة عليكم، و عملوا في إطفاء نور نبيكم**»[1] و نقلتهم نقلة نوعية من معسكر الأعداء أو الحاسدين المنافسين على السلطة إلى معسكر الحسين، ومن أمثال هؤلاء زهير بن القين الذي تحول من معسكر الزبيريين إلى معسكر الحسين بعد أن لقيه الإمام في الطريق فأصر على لقائه و التحاور معه و إلقاء الحجة عليه، فما كان منه إلا أن طلّق زوجته و ألحقها بأهلها، ثم انضم إلى ركبه المتجه صوب كربلاء، ونال هناك

(١) تحف العقول عن آل الرسول / الحسن بن شعبة الحراني ص ١٧٢.

شرف الشهادة بعد أن كان قاليًا له يتجنب مواجهته، وكذلك الحر بن يزيد الرياحي الذي جعجع على الحسين عليه السلام في الطريق، و منعه من الوصول إلى الكوفة، وطالبه بالنزول على أمر بن زياد و البيعة ليزيد، ثم ما لبث أن كَشفت له الحقيقة وغير اعتقاداته بعدما رأى من إنسانية الحسين و رحمته حين أمر صحبه بإتاحة الماء لجنوده، و ترشيف خيولهم، مطبقًا تعاليم الإسلام السمحة يصون حقوق الإنسان و احترام إنسانيته حتى لو كان مناوئًا و عدوًا، في الوقت الذي أصدر فيه ابن زياد تعليماته للحر بمنع الحسين من الماء على الرغم من وجود النساء و الأطفال بصحبته.

و الحر لم يرَ مع الحسين جيشًا جرارًا باطشًا، بل رأى قلة من الأصحاب و البقية الباقية من شباب بني هاشم و النساء و الأطفال، فالحسين لم يأتِ بجيش جرَّارٍ ليغصب ملكًا، فلماذا جاء؟ جاء استجابة لدعوات أهل الكوفة المؤيدة لولايته والراغبة بمبايعته، الشاكية من ظلم بني أمية وبطشهم، هكذا كان جواب الإمام للحر وقد عرض عليه كتبهم.

والحر رأى إلتزام الحسين (عليه السلام) بفروضه و طاعاته فلم يمنعه من ذلك وجود الأعداء حوله و ظروف السفر في جوٍ قائظ حار، فلم يتمالك الحر من الصلاة مؤتما بأبي عبد الله، لينتهي به المطاف مدافعًا عن الحسين و شهيدًا بين يديه.

٢. أيقظت الضمائر، و حركت العقول، و نبّهت الغافلين إلى خطورة تخاذلهم و تراخيهم عن نصرة الحق، فعاش الناس في جو من الندم و تأنيب الضمير، خصوصًا بعد أنْ عمَّ الظلم و الاضطهاد مكة و المدينة، فسفكت الدماء في المسجد الحرام و رميت الكعبة بالمنجنيق، وصالح الناس يزيد على أنّهم عبيدٌ له، و استبيحت أعراضهم و أموالهم[١]

و قتل عدد غير قليل منهم في واقعة الحرة الشهيرة. وبذلك تحقق ما حذر منه القرآن

(١) مروج الذهب / علي بن الحسين المسعودي ج٣/ ص٨١إلى ص٨٤

و أهل البيت عليهم السلام.

و لئن نزلت بعض ألوان العقاب بأهل المدينتين المقدستين، إلا من رحم الله، لتقصيرهم بفريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هو ما استنكره الإمام الحسين عليهم، لكننا نستطيع القول أنَّ الحسين عليه السلام و أهل بيته و أصحابه تحملوا أقصى درجات الابتلاء، من عطش ونصب و ذبح، ثمَّ ترويع و اضطهاد و سبي للنساء و الأطفال، ما شكل قمة المأساة الإنسانية على يد طواغيت العصر ليدفعوا كل ذي لب إلى استنكار الظلم و التبرؤ من فاعليه.

٣. كانت مظلومية الحسين عليه السلام سببًا في تفجّر ثورات متلاحقة كثيرة بعد ما حررت النفوس و القلوب من حالتي الضعف و الخوف، كثورة التوابين التي انتقمت من قتلة الخسين و ثورة زيد بن علي، كما بعثت روح النضال و الجهاد في نفوس المظلومين و المستضعفين لمقاومة طغاة الأرض عبر العصور اللاحقة.

و على مستوى النتائج غير المباشرة:

اهتم الأئمة عليهم السلام جميعًا بمسألة التولي و التبري ولاسيما في ما يتعلق بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام ليبقى رجم الطغاة بلعنات المؤمنين سنّة جارية عبر الأجيال فكرّسوا لذلك مقاطع من زيارة الحسين عليه السلام لأداء هذا الواجب مستخدمين مفردات اللعن لأعداء أهل البيت و البراءة منهم، بغية شحذ عواطف المؤمنين و إثارة تفاعلهم مع المأساة، جاء في زيارة عاشوراء المشهورة «**فلعن الله أمّة أسست أساس الظلم و الجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمةً دفعتكم عن مقامكم، و أزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله عليها، و لعن الله أمةً قتلتكم، و لعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله و إليكم منهم و من أشياعهم و أتباعهم وأوليائهم، يا أبا عبد الله إنّي سلمٌ لمن سالمكم و حربٌ لمن حاربكم إلى يوم القيامة**»[1].

وللتأكيد على أهمية هذه البراءة، و موقف المؤمن المنكر للظلم يتكرر اللعن و البراءة في

(١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي ص٤٥٤.

مقاطع من الزيارة. و في زيارة الأربعين يبين نص الزيارة المخصوصة لهذه المناسبة أهداف جهاد الحسين من أمرٍ بالمعروف و إصلاحٍ للأمة، مستحضرًا ما فعله أهل النفاق و الشقاق من جرائم في حقّه فيقول المعصوم في أحد مفاطعها «**فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة، و قد توازر عليه من غرته الدنيا، وباع حظه بالأرذل الأدنى و شرى آخرته بالثمن الأوكس و تغطرس و تردّى في هواه، و أسخطك و أسخط نبيك و أطاع من عبادك أهل الشقاق و النفاق، و حملةِ الأوزار المستوجبين النار، فجاهدهم فيك صابرًا محتسبًا حتى سفك في طاعتك دمه، و استبيح حريمه، اللهم فالعنهم لعنًا وبيلًا، وعذبهم عذابًا أليمًا**»[1] .

ولهذا بقيت ثورة الحسين عليه السلام حاضرة في الوجدان الشعبي للأمة على مرّ العصور، لا بل قوّت من عزيمة المؤمنين و أمدتهم بالطاقة على انتظار العدل و القسط في الدولة الموعدة القادمة لأنّ الحسين بتضحيته مهد السبيل لقيام هذه الدولة،و متّن قواعدها وزرع أمل الخلاص في النفوس، و بات الثأر للحسين و آبائه و أبنائه لإحقاق الحق أحد أهداف الظهور المبارك.

١. استطاعت الثورة الحسينية بالفعل أن تنقذ الإسلام من براثن الظالمين و تحصنه فتجعله عصيًا على التهديم و التدمير. لقد اقترن الإسلام كنظرية دعا إليها القرآن بشخصيات آل البيت الذين جسدوها تطبيقًا حقيقيًا قولًا و فعلًا، بعيدًا عن التزييف و التحريف.

وفي تطبيقه لتعاليم الإسلام الحنيف على طريق الشهادة أبرز الإمام الحسين(عليه السلام) جمال الحقِّ و قوته و منعته أمام الباطل فلامس ما فطرت عليه النفس من عشق لهذه القيم، و كان مصداق ذلك ما قالته السيدة زينب عليها السلام حين سألها ابن زياد ساخرًا مستهزئًا متشفيًا: كيف

(١) مفاتيح الجنان ـ ص٤٦٤

رأيتِ صنع الله بأخيك الحسين، فقالت: «ما رأيت إلا جميلًا» [١].

٢. لقد تعرض الإسلام على مرِّ تاريخيه لهجمات إرهابية شرسة حاولت تشويه صورته، والصقت به تهمًا مختلفة كالتطرف و الإرهاب، و الجهل، و الانحراف الأخلاقي، وذلك لأنّ مدعي الإسلام المزيفين أسقطوا عليه باجتهاداتهم المنحرفة وبدعهم، كل ما يعانون من عيوب ويشعرون به من نقص، و ترجموا آيات الكتاب العزيز بما ينسجم مع أحلامهم المريضة و فكرهم القاصر.

لكن إسلام الحسين عليه السلام صورتُه ناصعة مشرقة لمن يتأمّلها، لا يشع منها إلا نور الرحمة الإلهية و الرأفة و المحبة و النبل الديني الإنساني، ولقد كانت كفيلة بمحو كل الملامح المظلمة من عيون إخوة التراب المنصفين.

٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام يومًا لعامله على البصرة: «ألا و إنَّ لكلِّ مأمومٍ إمامًا يقتدي به، و يستضيء بنور علمه، ألا و إنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه»[٢] و قال في موضع آخر من رسالته: «أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، و لا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوة لهم في جَشوبة العيش؟»[٣]

وكذلك الإمام الحسين كان إمام الشهداء على طريق الإصلاح الذي انتهجه، ورفع شعاره في معركة الطف، و استهدف به أمة جده في ظل فساد بني أمية، و أمة جده التي ستقدم بعده قوافل الشهداء تترا على مذبح الحرية و الكرامة الإنسانية في كلِّ مكان يضطهد فيه المسلمون على هذه البسيطة. لذلك وزن قضيته بميزان أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) ولم يقنع من نفسه بالتوجيه و التحريض على نبذ الظلم البغي بأشكاله، بل أمَّ الشهداء في زمانه و في كلِّ زمان مستنهضًا عزيمة أنصاره مستصرخًا إياهم في أصلاب الرجال و أرحام النساء بجملته الشهيرة التي تبعث الحياة في القلوب الميتة: هيهات منا الذلة.

(١) الملهوف على قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس، تحقيق فارس تبريزيان ص ٢٠١
(٢) نهج البلاغة مختارات كلام الإمام علي عليه السلام/ للشريف الرضي، تحقيق وتنسيق علي أنصاريان ج٣ ص٤٢٢.
(٣) المصدر السابق ج٣ ص ٤٢٤.

الخلاصة:

فلتكن هذه الجملة الأخيرة «هيهات منا الذلة «هي الخلاصة.. إنّ منهج الإصلاح الديني عند العترة الطاهرة عليهم السلام، وعند الإمام الحسين عليه السلام و القائم على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عن طريق الثورة و التضحية بالنفس، رفع البشرية إلى أرقى حالاتها الإنسانية و ألبسها رداء العزة و الفخار، بعد أن استباح الظلم حرمتها و كشف سوأتها.

المصادر و المراجع:

٤. الاحتجاج / الشيخ أحمد بن علي الطبرسي. تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري و الشيخ محمد هادي به، الطبعة الخامسة، طهران ١٤٢٤ه.

٥. أصول الكافي / الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف -بيروت.

٦. الإمامة و قيادة المجتمع / السيد كاظم الحائري، قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦.

٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار/ محمد باقر المجلسي،مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة.

٨. البرهان في تفسير القرآن / السيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الأولى.

٩. تحف العقول عن آل الرسول / الشيخ علي بن الحسين بن شعبة الحرَّاني، مؤسسة الأعلمي لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٩١ه- ١٩٧٤م.

١٠. صلح الإمام الحسن بين الواقع و ظلم التاريخ / يحيى عبد الحسن الدوخي

١١. في رحاب أئمة اهل البيت / السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات- بيروت

١٢. فروع الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر، بيروت.

١٣. القرآن الكريم.

١٤. كمال الدين و تمام النعمة / الشيخ علي بن محمد بن بابويه القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢ه-١٩٩١م.

١٥. لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف ٢٠١٦م.

١٦. مجمع البيان في تفسير القرآن / الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة،

طبعة ١٩٨٦.
١٧. المراجعات / عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار المرتضى.
١٨. مروج الذهب و معادن الجوهر/ الحسين بن علي المسعودي، تحقيق أمير مهنا، بيروت ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.
١٩. مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل/ حسين تقي النوري، دار الخلافة، طهران.
٢٠. المسائل المُنتخبة - العبادات و المعاملات / السيد علي الحسيني السيستاني مكتب سماحته، قم المقدسة مقابل بيمارستان فاطمي.
٢١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإ،سلامية، تركيا ١٩٨٢.
٢٢. المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
٢٣. مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي،دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٥ه-٢٠١٤م.
٢٤. الملهوف على قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس، تحقيق فارس تبريزيان، دار الاسوة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ.
٢٥. منتخب الأحكام / السيد علي الخامنئي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.
٢٦. من وحي الثورة الحسينية / هاشم معروف الحسيني، دار التعارف للمطبوعات الطبعة الأولى ١٩٩٤م-١٤١٤ه.
٢٧. نهج البلاغة / اختيارات الشريف الرضي من كلام الإمام علي عليه السلام، تحقيق علي أنصاريان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ه- ٢٠٠٧م.
٢٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / الشيخ محمدبن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الإسلامي، طبعة ١٤١٤ه
٢٩. ميزان الحكمة / الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، الطبعة الأولى.